سورة الحديد

مدنية، وهي تسع وعشرون آية [نزلت بعد الزلزلة]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾

جاء في بعض الفواتح ﴿سَبَّحَ﴾ على لفظ الماضي، وفي بعضها على لفظ المضارع، وكل واحد منهما معناه: أنّ من شأن من أسند إليه التسبيح أن يسبحه، وذلك هجيراه وديدنه، وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى في قوله تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] وأصله: التعدي بنفسه، لأنّ معنى سبحته: بعدته عن السوء، منقول من سبح إذا ذهب وبعد، فاللام لا تخلو إما أن تكون مثل اللام في: نصحته، ونصحت له، وإما أن يراد بسبح لله: أحدث التسبيح لأجل الله ولوجهه خالصًا، ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما يتأتى منه التسبيح ويصح. فإن قلت: ما محل ﴿يُحْيِۦ﴾؟ قلت: يجوز أن لا يكون له محل، ويكون جملة برأسها؛ كقوله: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ١٠٧] وأن يكون مرفوعًا على: هو يحيي ويميتُ، ومنصوبًا حالاً من المجرور في (له) والجار عاملاً فيها. ومعناه: يحيي النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الأحياء ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ هو القديم الذي كان قبل كل شيء ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ الذي يبقى بعد هلاك كل شيء ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة الدالة عليه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ لكونه غير مدرك بالحواس. فإن قلت: فما معنى الواو[1]؟ قلت الواو الأولى

---

(١) قال محمود: «إن قلت: ما معنى الواو وأجاب بأن المتوسطة بين الأول والآخر للجمع بين معنى الأولية والبقاء إلخ. قال: ومعنى الظاهر أي بالأدلة والباطن أي عن الحواس. وقيل: وفيه دليل الرد =

معناها الدلالة[1] على أنه الجامع بين الصفتين الأولية والآخرية، والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء. وأما الوسطى، فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين ومجموع الصفتين الآخريين، فهو المستمّر الوجود في جميع الأوقات الماضية والآتية، وهو في جميعها ظاهر وباطن: جامع للظهور بالأدلة والخفاء، فلا يدرك بالحواس. وفي هذا حجة على من جوّز إدراكه[2] في الآخرة بالحاسة. وقيل: الظاهر العالي على كل شيء الغالب له، من ظهر عليه إذا علاه وغلبهُ. والباطن الذي بطن كل شيء، أي علم باطنه: وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم.

﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ يعني: أن الأموال التي في أيديكم إنما هي أموال الله بخلقه وإنشائه لها، وإنما موّلكم إياها، وخوّلكم الاستمتاع بها، وجعلكم خلفاء في التصرف فيها، فليست هي بأموالكم في الحقيقة. وما أنتم فيها إلا بمنزلة الوكلاء والنوّاب، فأنفقوا منها في حقوق الله، وليهن عليكم الإنفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه. أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم: بتوريثه إياكم، فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم، وسينقل منكم إلى من بعدكم؛ فلا تبخلوا به/ ٢/ ٢١٠أ، وانفعوا بالإنفاق منها أنفسكم ﴿لَا تُؤْمِنُونَ﴾ حال من معنى الفعل في مالكم، كما تقول: مالك قائمًا، بمعنى: ما تصنع قائمًا، أي: وما لكم كافرين بالله. والواو في ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال، فهما حالان متداخلتان. وقرئ: «وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله

= على من زعم أنه تعالى يرى في الآخرة بالحاسة» قال أحمد: «لا دليل فيه على ذلك؛ فإن لنا أن نقول: إن المراد عدم الإدراك بالحاسة في الدنيا لا في الآخرة. ونحن نقول به، أو في الآخرة. والمراد: الكفار والجاحدون للرؤية كالقدرية ألا ترى إلى قوله: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فإنه قيل: تقييد وتخصيص على خلاف الظاهر. قلنا والمسألة قطعية، فيكفي الاحتمال. وأيضًا فقسيمه لا بد فيه من تخصيص؛ فإنه تعالى لم يظهر جميع خلقه على الأدلة الموصلة إلى معرفته، بل أخفاها عن كثير منهم وحرمهم الفوز بالإيمان به عز وجل؛ فالظاهر إذًا معناها في التخصيص كالثاني طبقًا بينه وبين الأول.

(١) قوله: «قلت الواو الأولى معناها الدلالة» الأولى إنما دلت على اجتماع الصفتين الأوليين، والثالثة على اجتماع الأقربين. والثانية على اجتماع المجموعين. (ع)

(٢) قوله: «حجة على من جوز إدراكه» يريد أهل السنة، وهم قد جوزوا رؤيته مطلقًا، وقالوا: لا تدركه الأبصار، أي: لا تحيط به؛ والمعتزلة أحالوا رؤيته تعالى؛ وتفصيله في التوحيد. (ع)

والرسول يدعوكم» والمعنى: وأي عذر لكم في ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج، وقيل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالإيمان: حيث ركب فيكم العقول[1]، ونصب لكم الأدلة، ومكنكم من النظر، وأزاح عللكم، فإذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول، فما لكم لا تؤمنون ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لموجب مّا؛ فإن هذا الموجب لا مزيد عليه. وقرئ: «أخذ ميثاقكم[2]» على البناء للفاعل، وهو الله عز وجل.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾

﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾ الله بآياته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. أو ليخرجكم الرسول بدعوته ﴿لَرَءُوفٌ﴾ وقرئ: «لرءوف»[3].

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾

---

(١) قال محمود: «أخذ الميثاق عبارة عن تركيب العقول فيهم... إلخ» قال أحمد: وما عليه أن يحمل أخذ الميثاق على ما بينه الله في آية غير هذه، إذ يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ولقد يريبني منه إنكاره لكثير من مثل هذه الظواهر والعدول بها عن حقائقها مع إمكانها عقلاً ووقوعها بالسمع قطعًا إلى ما يتوهمه من تمثيل يسميه تخييلاً، فالقاعدة التي تعتمد عليها كي لا يضرك ما يومئ إليه أن ما كل ما جوزه العقل وورد بوقوعه السمع وجب حمله على ظاهره والله الموفق.

(٢) قوله وقرئ: أخذ ميثاقكم» يفيد أن القراءة على البناء للمفعول أشهر. (ع)

(٣) قوله: «وقرئ «لرءوف» يفيد أن القراءة بالقصر أشهر، وفيه نظر فلينظر. وفي الصحاح: رؤف به ـ بالضم، ورأف به ـ بالفتح، ورئف به ـ بالكسر، فهو رءوف على فعول. قال كعب بن مالك الأنصاري [من الوافر]:

نطيع نبينا ونطيع ربًا ... هو الرحمن كان بنا رءوفًا

رءوف أيضًا على فعل. قال جرير [من الوافر]:

يرى للمسلمين عليه حقًا ... كفعل الوالد الرؤف الرحيم

والظاهر أن رسمه بواو واحدة حال المد والقصر، فيكون الأشهر قراءة المد، كما هو الأشهر في الاستعمال اللغوي. (ع)

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا﴾ في أن لا تنفقوا ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق لأحد من مال وغيره، يعني: وأيّ غرض لكم في ترك الإنفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم، وهو من أبلغ البعث على الإنفاق في سبيل الله. ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾ قبل فتح مكة قبل عز الإسلام وقوّة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجًا وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه، ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبي ﷺ: «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه» (١٥٤٥) أعظم درجة وقرئ: «قبل الفتح» ﴿وَكُلًّا﴾ وكل واحد من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات. وقرئ: بالرفع على «وكل وعده الله» وقيل: نزلت في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، لأنه أوّل من أسلم وأوّل من أنفق في سبيل الله. القرض الحسن: الإنفاق في سبيله. شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز، لأنه إذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه إياه ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ﴾ أي يعطيه أجره على إنفاقه مضاعفًا ﴿أضعافا﴾ من فضله ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ يعني: وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه: وقرئ: «فيضعفه» وقرئا

١٥٤٥ ـ فأمّا حديث أبي سعيد فرواه البخاري (٢٥١٧) في فضائل الصحابة، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «لو كنت متخذًا خليلا» (٣٦٠٣)، ومسلم (٤/ ١٩٦٧) في فضائل الصحابة: باب تحريم سب الصحابة (٢٢٢/ ٢٥٤١)، وأبو داود (٢/ ٦٢٩) في السنة: باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٤٦٥٨)، والترمذي (٥/ ٦٥٣) في المناقب (٣٨٦١)، وأحمد (٣/ ١١، ٥٤، ٦٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩ (٩٩٠ ـ ٩٩١)، والبيهقي (١٠/ ٢٠٩)، والخطيب في التاريخ (٧/ ١٤٤) من الأعمش عن أبي صالح، عن أبي سعيد مرفوعًا: لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه».

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأما حديث أبي هريرة، فرواه مسلم (٢٢١ ـ ٢٥٤٠)، وابن ماجه (١/ ٥٧) في المقدمة: باب فضل أهل بدر (١٦١) عن الأعمش عن أبي صالح عنه مرفوعًا به.

وأما حديث أنس فرواه أحمد (٣/ ٢٦٦).

ولأنس حديث آخر في هذا الباب، رواه ابن ماجه (٣٩٨٧)، والخطيب في التاريخ (١٢/ ٢٥٧).

وحسن إسناده البوصيري في الزوائد (٣/ ٢٣٧).

وفي الباب كذلك عن ابن عباس رواه الطبراني في الكبير (١١/ ٧٠) (١١٠٧٤) عن ليث عن مجاهد عنه.

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٨١): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة.

قال الحافظ: متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ. انتهى.

منصوبين على جواب[1] الا ستفهام والرفع عطف على ﴿يُقْرِضُ﴾، أو على: فهو يضاعفه.

﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف لقوله: ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أو منصوب بإضمار «اذكر» تعظيمًا لذلك اليوم. وإنما قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ لأنّ السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين؛ كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم، فجعل النور في الجهتين شعارًا لهم وآية؛ لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا، فإذا ذهب بهم إلى الجنة ومروا على الصراط يسعون: سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدمًا. ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾. وقرئ: «ذلك الفوز».

﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ بدل من يوم ترى ﴿ٱنظُرُونَا﴾ انتظرونا، لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف[2] بهم. وهؤلاء مشاة. وانظروا إلينا؛ لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به. وقرئ: «أنظرونا» من النظرة وهي الإمهال: جعل اتئادهم في المضيّ إلى أن يلحقوا بهم إنظارًا لهم ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ نصب منه؛ وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به ﴿قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ طرد لهم وتهكم بهم، أي: ارجعوا إلى الموقف إلى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك، فمن ثم يقتبس. أو ارجعوا إلى الدنيا، فالتمسوا نورًا بتحصيل سببه وهو الإيمان. أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا، فالتمسوا نورًا آخر، فلا سبيل لكم إلى هذا النور، وقد علموا أن لا نور وراءهم؛ وإنما هو تخييب وإقناط لهم ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شقّ الجنة وشق النار. وقيل: هو الأعراف لذلك السور ﴿بَابٌۢ﴾ لأهل الجنة/ ٢/ ٢١٠ب يدخلون منه ﴿بَاطِنُهُۥ﴾ باطن السور أو الباب، وهو الشق الذي يلي الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ ما ظهر

---

(١) قوله: «وقرئا منصوبين على جواب» أي قوله: فيضاعفه. وقوله فيضعفه. (ع)

(٢) قوله: «تزف بهم» أي: تسرع. أفاده الصحاح. (ع)

لأهل النار ﴿مِن قِبَلِهِ﴾ من عنده ومن جهته ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ وهو الظلمة والنار. وقرأ زيد بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: «فضرب بينهم» على البناء للفاعل ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ يريدون موافقتهم في الظاهر ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ محنتموها بالنفاق وأهلكتموها ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ طول الآمال والطمع في امتداد الأعمار ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وهو الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ وغرّكم الشيطان بأنّ الله عفوّ كريم لا يعذبكم. وقرئ: «الغرور» بالضم ﴿فِدْيَةٌ﴾ ما يفتدى به ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ قيل: هي أولى بكم، وأنشد قول لبيد [من الكامل]:

فَغَدَتْ كِلاَ الْفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ مُولِي الْمَخَافَةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا[1]

وحقيقة مولاكم: محراكم ومقمنكم[2]. أي: مكانكم الذي يقال فيه هو أولى بكم، كما قيل: هو مئنة للكرم، أي مكان؛ لقول القائل: إنه لكريم. ويجوز أن يراد: هي ناصركم، أي لا ناصر لكم غيرها. والمراد: نفي الناصر على البتات. ونحوه قولهم: أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ [الكهف: ٢٩] وقيل: تتولاكم كما توليتم في الدنيا أعمال أهل النار.

﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾

---

(١) وتوجست رز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

للبيد من معلقته. يصف بقرة وحشية، توجست: أي تسمعت البقرة. والتوجس: التسمع. ويقال: رزت السماء رزًا، بتقديم الراء إذا صوتت عند المطر؛ فالرز بالفتح: التصويت الخفي، وبالكسر: اسم للصوت الخفي. ورز: أي صوت الأنيس، وهم الصياد، فأفزعها بظهر الغيب. وإقحام الظهر في مثل هذا التركيب: مبالغة في الخفاء؛ لأن ما وراء الظهر لا يعلم ولا يدرى ما هو. وسمي الصياد أنيسًا بالنسبة إلينا لا إليها، لأنه عناؤها وسبب خوفها، فجعله نفس السقام مبالغة. وكلا الفرجين: مبتدأ. وتحسب أنه مولى المخافة: خبر، أي أنه الأولى بالخوف من جهته. وخلفها وأمامها: خبر لمبتدأ محذوف، أو بدل من كلا الفرجين للتوضيح والتبيين، أي: لهما ما بين رجليها وما بين يديها، وبعضهم فسرهما بنقرنين في الجبل؛ وعليه فلا معنى للام العهد فيهما.
ينظر: ديوانه ص ٣١١، وإصلاح المنطق ص ٧٧، والدرر ٣/ ١١٧، وشرح شواهد الإيضاح ص ١٧٠، وشرح المفصل ٢/ ١٢٩، والكتاب ١/ ٤٠٧، ولسان العرب (أمم)، (كلا)، (ولي)، والمقتضب ٤/ ٣٤١، وكتاب العين ٨/ ٤٢٩ وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٤٦٣، وشرح شذور الذهب ص ٢٠٩، ولسان العرب (فرج).

(٢) قوله: «محراكم ومقمنكم» يقال: هو حري أن يفعل كذا، وهو قمن أن يفعله، أي: جدير بذلك وحقيق به. أفاده الصحاح. (ع)

(٣) قوله: «فاستنصر الجزع» لعله: الجزع، أي: نقيض الصبر. (ع)

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ من أنى الأمر يأني، إذا جاء إناه، أي: وقته. وقرئ: «ألم يئن» من آن يئين بمعنى: أنى يأنى، وألما يأن، قيل: كانوا مجدبين بمكة، فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه، فنزلت. وعن ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين (١٥٤٦). وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنّ الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن. وعن الحسن ـ رضي الله عنه ـ: أما والله لقد استبطأهم وهم يقرءون من القرآن أقل مما تقرءون. فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق. وعن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أنّ هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة، فبكوا بكاءً شديدًا، فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب. وقرئ: نزّل ونزل. وأنزل ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾ عطف على تخشع، وقرئ بالتاء على الالتفات، ويجوز أن يكون نهيًا لهم عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة القلوب بعد أن وبخوا، وذلك أنّ بني إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم، وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم، فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره. فإن قلت: ما معنى: ﴿لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾؟ قلت: يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق: القرآن؛ لأنه جامع للأمرين: للذكر والموعظة، وأنه حق نازل من السماء، وأن يراد خشوعها إذا ذكر الله وإذا تلي القرآن كقوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢] أراد بالأمد: الأجل، كقوله [من الخفيف]:

.... إذَا انْتَهَى أَمَدُهْ(١)

وقرئ: «الأمدّ»، أي: الوقت الأطول ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن دينهم

١٥٤٦ ـ أخرجه مسلم (٩/ ٣٨٤ ـ النووي) كتاب التفسير: باب في قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾، حديث (٢٤/ ٣٠٢٧)، والنسائي في التفسير (٢/ ٣٨٨) رقم (٥٨٨) كلاهما من طريق سعيد بن أبي هلال عن عون بن عبدالله بن عتبة عن أبيه أن ابن مسعود قال: «ما كان بين إسلامنا... الحديث» موقوفًا على ابن مسعود قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ٤١٨) ووهم الحاكم فرواه في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. أ. هـ.
قال الحافظ:
أخرجه مسلم بلفظ «وبين أن عاتبنا الله» ووهم الحاكم فاستدركه. انتهى.

---

(١) قوله: «كقوله إذا انتهى أمده» البيت من أوله:

كل حي مستكمل مدة العمـ ـر ومود إذا انتهى أمده

أهـ. عليان

قلت: قد تقدم.

رافضون لما في الكتابين.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ قيل: هذا تمثيل لأثر الذكر في القلوب، وأنه يحييها كما يحيي الغيث الأرض.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ المتصدّقين. وقرئ على الأصل. والمصدّقين من صدّق، وهم الذين صدّقوا الله ورسوله يعني: المؤمنين. فإن قلت: علام عطف قوله ﴿وَأَقْرَضُواْ﴾؟ قلت: على معنى الفعل في المصدّقين؛ لأنّ اللام بمعنى الذين، واسم الفاعل بمعنى اصدّقوا، كأنه قيل: إنّ الذين اصدّقوا وأقرضوا. والقرض الحسن: أنّ يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة. وقرئ: «يضعف» ويضاعف، بكسر العين، أي: يضاعف الله.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

يريد أنّ المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصدّيقين والشهداء؛ وهم الذي سبقوا إلى التصديق واستشهدوا في سبيل الله ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ أي: مثل أجر الصدّيقين والشهداء ومثل نورهم. فإن قلت: كيف يسوّى بينهم في الأجر ولا بدّ من التفاوت؟ قلت: المعنى: أنّ الله يعطي المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله، حتى يساوي أجرهم مع إضعافه أجر أولئك. ويجوز أن يكون ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ خبره.

﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ/ ٢/ ٢١١ب ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾

أراد أنّ الدنيا ليست إلا محقرات من الأمور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر. وأما الآخرة فما هي إلا أمور عظام، وهي: العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله. وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل[1]

(١) قوله: «فاستوى واكتهل» في الصحاح: اكتهل النبات، أي: تم طوله وظهر نوره. (ع)

وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات، فبعث عليه العاهة فهاج واصفرّ وصار حطامًا عقوبة لهم على جحودهم، كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين. وقيل: ﴿ٱلْكُفَّارَ﴾ الزرّاع. وقرئ: «مصفارًا».

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾

﴿سَابِقُوٓاْ﴾ سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم في المضمار، إلى جنة ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال السدي: كعرض سبع السموات وسبع الأرضين، وذكر العرض دون الطول؛ لأنّ كل ماله عرض وطول فإنّ عرضه أقل من طوله، فإذا وصف عرضه بالبسطة، عرف أنّ طوله أبسط وأمدّ. ويجوز أن يراد بالعرض: البسطة، كقوله تعالى: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١] لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة: بعث عباده على المسارعة إلى نيل ما وعد من ذلك: وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ﴿ذَٰلِكَ﴾ الموعود من المغفرة والجنة ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ﴾ عطاؤه ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ وهم المؤمنون.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾

المصيبة في الأرض: نحو الجدب وآفات الزروع والثمار. وفي الأنفس: نحو الأدواء والموت ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾ في اللوح ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ يعني: الأنفس أو المصائب ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إنّ تقدير ذلك وإثباته في كتاب ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ وإن كان عسيرًا على العباد، ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ . . .﴾ ﴿وَلَا تَفْرَحُواْ﴾ يعني: أنكم إذا علمتم أنّ كل شيء مقدّر مكتوب عند الله قلّ أساكم على الفائت وفرحكم على الآتي؛ لأنّ من علم أن ما عنده مفقود لا محالة: لم يتفاقم جزعه عند فقده، لأنه وطن نفسه على ذلك، وكذلك من علم أنّ بعض الخير واصل إليه، وأن وصوله لا يفوته بحال: لم يعظم فرحه عند نيله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لأنّ من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه: اختال وافتخر به وتكبر على الناس. قرئ: «بما آتاكم» وأتاكم، من الإيتاء والإتيان. وفي قراءة ابن مسعود «بما أوتيتم» فإن قلت: فلا أحد يملك نفسه ـ عند مضرة تنزل به،

ولا عند منفعة ينالها ـ أن لا يحزن ولا يفرح. قلت: المراد: الحزن المخرج إلى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين، والفرح المطغي الملهي عن الشكر؛ فأما الحزن الذي لا يكاد الإنسان يخلو منه مع الاستسلام، والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر: فلا بأس بهما ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ كأنه قال: لا يحب الذين يبخلون، يريد: الذين يفرحون الفرح المطغي إذا رزقوا مالاً وحظًا من الدنيا فلحبهم له وعزّته عندهم وعظمه في عيونهم: يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به، ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم في الإمساك ويزينوه لهم، وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند إصابته ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتي: فإنّ الله غنيّ عنه. وقرئ: «بالبخل» وقرأ نافع: «فإنّ الله الغنيّ»، وهو في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك.

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا﴾ يعني: الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: الوحي ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ روي أنّ جبريل ـ عليه السلام ـ نزل بالميزان فدفعه إلى نوح وقال: مر قومك يزنوا به ﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ قيل: نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد: السندان، والكلبتان، والميقعة والمطرقة[1]، والإبرة. وروي: ومعه المرّ والمسحاة. وعن النبّي ﷺ: «أنّ الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض: أنزل الحديد، والنار، والماء، والملح (١٥٤٧). وعن الحسن ﴿وَأَنزَلۡنَا

١٥٤٧ ـ قال الزيلعي في «تخريج الكشاف» (٣/٤١٨): (رواه الثعلبي في تفسيره أخبرنا أبو سفيان الحسين ابن عبد الله الدهقان ثنا الحسن بن إسماعيل بن خلف الخياط ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن الفرج العدل ثنا محمد بن عبيد بن عبد الملك بن مالك التميمي عن عبد الله بن خليفة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله تعالى أنزل...» إلى آخره.
وهو في الفردوس كذلك من حديث ابن عمر؛ قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من حديث ابن عمر وفي إسناده من لا أعرفه. انتهى.

---

(١) قوله: «والميقعة والمطرقة... إلخ» في الصحاح «الميقعة»: المطرقة. والميقعة ـ أيضًا ـ: المسن الطويل. والمر: الحبل، والمسحاة كالمجرفة، إلا أنها من حديد. (ع)

﴿ٱلْحَدِيدَ﴾: خلقناه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الزمر: ٦] وذلك أنّ أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ وهو القتال به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم، فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها؛ أو ما يعمل بالحديد ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ﴾ باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح/ ٢/ ٢١١ب في مجاهدة أعداء الدين ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ غائبًا عنهم، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ينصرونه ولا يبصرونه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ غنيّ بقدرته وعزته في إهلاك من يريد هلاكه عنهم، وإنما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ والوحي. وعن ابن عباس: الخط بالقلم، يقال: كتب كتابًا وكتابة ﴿فَمِنْهُم﴾ فمن الذرية أو من المرسل إليهم، وقد دل عليهم ذكر الإرسال والمرسلين. وهذا تفصيل لحالهم، أي: فمنهم مهتد ومنهم فاسق، والغلبة للفساق.

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾

قرأ الحسن: الأنجيل، بفتح الهمزة، وأمره أهون من أمر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء، لأنّ الكلمة أعجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب. وقرئ: «رآفة» على: فعالة، أي: وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم. ونحوه في صفة أصحاب رسول الله ﷺ ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]. والرهبانية: ترهبهم في الجبال فارّين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة، وذلك أنّ الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى، فقاتلوهم ثلاث مرات، فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل، فخافوا أن يفتنوا في دينهم، فاختاروا الرهبانية: ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان[1]، وهو الخائف: فعلان من رهب، كخشيان من خشي. وقرئ: «ورهبانية» بالضم، كأنها نسبة إلى الرهبان: وهو جمع راهب كراكب وركبان، وانتصابها بفعل مضمر[2] يفسره الظاهر: تقديره. وابتدعوا

---

(١) قال محمود: «الرهبانية: الفعلة المنسوبة للرهبان... إلخ» قال أحمد: وفيه إشكال، فإن النسب إلى الجمع على صيغته غير مقبول عندهم حتى يرد إلى مفرده، إلا أن يقال: إنه لما صار الرهبان طائفة مخصوصة صار هذا الاسم ـ وإن كان جمعًا ـ كالعلم لهم، فلحق بأنصاري ومدائني وأعرابي.

(٢) قال محمود: «وهي منصوبة بفعل مضمر... إلخ» قال أحمد: في إعراب هذه الآية تورط أبو علي =

رهبانية ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ يعني: وأحدثوها من عند أنفسهم ونذروها ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ لم نفرضها نحن عليهم ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ استثناء منقطع، أي: ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ كما يجب على الناذر رعاية نذره؛ لأنه عهد مع الله لا يحلّ نكثه ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يريد: أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ الذين لم يحافظوا على نذرهم. ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها، وابتدعوها: صفة لها في محل النصب، أي: وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم، بمعنى: وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها، ما كتبناها عليهم إلا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب، على أنه كتبها عليهم وألزمها إياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه، فما رعوها جميعًا حق رعايتها؛ ولكن بعضهم، فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم، وكثير منهم فاسقون. وهم الذين لم يرعوها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يجوز أن يكون خطابًا للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا[1] من غيرهم، فإن كان خطابًا لمؤمني أهل الكتاب. فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ الله ﴿كِفْلَيْنِ﴾ أي نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ وهو النور المذكور في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم﴾ [الحديد: ١٢]. ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما أسلفتم من الكفر والمعاصي.

= الفارسي وتحيز إلى فئة الفتنة وطائفة البدعة، فأعرب رهبانية على أنها منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر، وعلل امتناع العطف فقال: ألا ترى أن الرهبانية لا يستقيم حملها على (جعلنا) مع وصفها بقوله: (ابتدعوها) لأن ما يجعله هو تعالى لا يبتدعونه هم، والزمخشري ورد أيضًا مورده الذميم، وأسلمه شيطانه الرجيم، فلما أجاز ما منعه أبو علي من جعلها معطوفة: أعذر لذلك بتحريف الجعل إلى التوفيق، فرارًا مما فر منه أبو علي: من اعتقاد أن ذلك مخلوق لله تعالى، وجنوحًا إلى الإشراك واعتقاد أن ما يفعلونه هم لا يفعله الله تعالى ولا يخلقه، وكفى بما في هذه الآية دليلًا بعد الأدلة القطعية والبراهين العقلية على بطلان ما اعتقداه؛ فإنه ذكر محل الرحمة والرأفة مع العلم بأن محلها القلب، فجعل قوله: (في قلوب الذين اتبعوه) تأكيدًا لخلقه هذه المعاني وتصويرًا لمعنى الخلق بذكر محله؛ ولو كان المراد أمرًا غير مخلوق في قلوبهم لله تعالى كما زعما: لم يبق لقوله في قلوب الذين اتبعوه موقع، ويأبى الله أن يشتمل كتابه الكريم على ما لا موقع له، ألهمنا الله الحجة ونهج بنا واضح المحجة، إنه ولي التوفيق وواهب التحقيق.

(١) قوله: «والذين آمنوا» لعله وللذين آمنوا. (ع)

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ﴾ ليعلم ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ الذين لم يسلموا. ولا مزيدة ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾ أن مخففة من الثقيلة، أصله: أنه لا يقدرون، يعني: أنّ الشأن لا يقدرون ﴿عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي: لا ينالون شيئًا مما ذكر من فضله من الكفلين: والنور والمغفرة، لأنهم لم يؤمنوا برسول الله، فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله، ولم يكسبهم فضلاً قط. وإن كان خطابًا لغيرهم، فالمعنى: اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين في قوله: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] ولا ينقصكم من مثل أجرهم، لأنكم مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله. روي: أنّ رسول الله ﷺ بعث جعفرًا ـ رضي الله عنه ـ في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه، فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له، فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلاً. ائذن لنا في الوفادة على رسول الله ﷺ، فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد، فلما رأوا ما بالمسلمين من خصاصة: استأذنوا رسول الله ﷺ، فرجعوا وقدموا بأموال لهم فآسوا بها المسلمين[(١)]، فأنزل الله ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ...﴾ [البقرة: ١٢١] إلى قوله: ﴿...وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله: ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [القصص: ٥٤] فخروا على المسلمين وقالوا: أما من آمن/ ٢/ ٢١٢أ بكتابكم وكتابنا فله أجره مرّتين، وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم، فما فضلكم علينا؟ فنزلت. وروي أنّ مؤمني أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرّتين، وادعوا الفضل عليهم، فنزلت. وقرئ: «لكي يعلم» و«لكيلا يعلم». و«ليعلم». و«لأن يعلم»؛ بإدغام النون في الياء. و«لين يعلم: بقلب الهمزة ياء وإدغام النون في الياء. وعن الحسن: «ليلا يعلم»، بفتح اللام وسكون الياء. ورواه قطرب بكسر اللام. وقيل: في وجهها: حذفت همزة أن، وأدغمت نونها في لام لا؛ فصار «للا» ثم أبدلت من اللام المدغمة ياء، كقولهم: ديوان، وقيراط. ومن فتح اللام فعلى أن أصل لام الجرّ الفتح، كما أنشد [من الطويل]:

أُرِيدُ لأَنْسَى ذِكْرَهَا ... . (٢)

---

(١) المعروف أن جعفر إنما قدم بعد أحد بزمان، قدم عند فتح خيبر.

(٢) أريد لأنسى ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلى بكل سبيل

لقيس بن الملوح مجنون ليلى العامرية. وقيل: لكثير صاحب عزة. وكني عنها بليلى تسترًا. وقيل: سرقه كثير من شعر جميل صاحب بثينة. وقوله: لأنسى بفتح لام الجر على الأصل في الحروف =

وقرئ: «أن لا يقدروا» ﴿بِيَدِ ٱللَّهِ﴾ في ملكه وتصرفه. واليد مثل ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ ولا يشاء إلا إيتاء من يستحقه. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله» (١٥٤٨).

١٥٤٨ ـ تقدم برقم (٣٤٦) وقال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي، وابن مردويه والواحدي، بأسانيدهم إلى أبي بن كعب.

= المفردة، وتلك: لغة عكل، ويتعين فيها إذا دخلت على فعل منصوب بأن مضمرة كما هنا. وتروى بالكسر على اللغة المشهورة، أي: أريد لنسيان تذكرها، واللام زائدة، لكنها هي التي أشعرت بحذف «إن»، وتمثل: أصله تتمثل، أي تتشكل وتتخيل أمامي ليلى بكل طريق، إما الحسي وإما طريق الذكر، والأول أوجه، بدليل قوله: «كأنما» وتمثلها له يوجب تذكرها. وما زائدة بعد كان، كافة لها عن العمل فلذلك دخلت على الفعل.

ينظر: ديوانه ص ١٠٨، والأغاني ٤/ ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٩/ ٣٣٥، ٣٣٦، وأمالي القالي ٢/ ٦٣، وخزانة الأدب ١٠/ ٣٢٩، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٢٣٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٦٥، ٢/ ٥٨٠، ولسان العرب (رود)، والمقاصد النحويّة ٢/ ٢٤٩، ٣/ ٤٠٣، وبلا نسبة في الجنى الداني ص ١٢١، ورصف المباني ص ٢٤٦، واللامات ص ١٣٨، والمحتسب ٢/ ٣٢، ومغني اللبيب ١/ ٢١٦.